IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة كلية الكوت الجامعة للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
عدد خاص لبحوث المؤتمر العلمي الدولي الخامس للإبداع والابتكار للمدة من 13 - 14 كانون الأول 2023

البّلاغَة العربيَّة علاجٌ للتراجع اللغوي
دراسة تطبيقيَّة

أ.د. هادي سعدون هنون العارضي [1]

المستخلص

ستتبنى هذه الدراسة ما جاء في محور الدراسات الإنسانيَّة ، وتتضمن مقترحا للتراجع اللغوي في الدرس العربي ، وهي بمثابة إختراع وضع فيه مجموعة من الحلول التطبيقيَّة لتطوير قابليات المتلقي للغة عن طريق البلاغة فكان عنوان الدراسة: ((**البّلاغَة العربيَّة علاجٌ للتراجع النَّحوي - دراسة تطبيقيَّة**)).

نحاول في هذه الدّراسة تعميق النَّظر في مشكلة التَّراجع الواضح في تقبُّل القواعد النحويَّة ، وضعف التَّفاعل معها من قبل المتلقي العربي ، وسنتبنى فيها إيجاد الحلُول المناسبة ؛ لوقف هذا التَّراجع المتسارع بشكلٍ جذري بعيدًا عن الحلول التي لا تغادر البحُوث ، والكتب ، ولا يمكنها الصمُود أمام التَّحديات الهائلة على المستويات الاقتصاديَّة ، والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة وحتى السياسيَّة ، خطة البحث ستتوزع على مبحثين:

*- **المبحث الأول :** البحث في أسباب التراجع من وجهة نظر :

- المُعلِم .
- المُتعلِّم .

*- **المبحث الثَّاني :** البحث في الحلُول على المدى : سيتكلف هذا المبحث في تحليل مخرجات الاستبانة في المبحث الأول واقتراح الحلول العلمية في البعدين القصير والطويل .

- القصير .
- الطَّويل .

سيعتمد البحث على التَّطبيق العملي أكثر من التَّنظير عن طريق البيانات والاستفتاءات على المستوى الخاص (الطالب + الأُستاذ) والعام (جميع من يتكلم العربيَّة) فضلا عن الدراسَات السابقة في هذا الموضوع ، وسيستثمر الباحث المقولات العربيَّة القديمَة التي أوصت بأهميَّة البلاغة في التَّلقي والإبداع إلا أنَّها تعاني من قلت الإهتمام حتى أمست البلاغَة العربيَّة تعاني وتصارع من أجل البقاء ، والوجود في ممر تنفس ضيق وضعه السكَّاكي قبل مئات السنين عندما قسَّمها إلى البيان ، والبديع ، والمعاني على الرغم من فضاءات المعرفَة اللسانيَّة التي فُتحت لها على يد العالم السويسري سوسير ، من ثم سنختم دراستنا هذه بمجموعة النتائج والتوصيات .

نتمنى من الله سُبحانه وتعالى أن يوفقنَا لما هو خَير وصَلاح لهذه اللغة التي تشرَّفت بحمل أعظم رسالة إنسانيَّة إنه وليّ النِّعمة والتَّوفيق .

الكلمات المفتاحية : البلاغة، العربية، التراجع، اللغوي، علاج

انتساب الباحث
[1] كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، العراق، النجف الأشرف،

[1] hadis.hannoon@uokufa.edu.iq

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تاريخ النشر: حزيران 2024

Arabic Rhetoric is a Treatment for Linguistic Decline
An Empirical Study

Hadi Saadoun Hannoun

Abstract

This study will adopt what was stated in the axis of humanistic studies, and include a proposal for linguistic decline in the Arabic lesson. It is an invention in which a set of applied solutions were developed to develop the recipient's abilities for the language through rhetoric. The title of the study was: ((Arabic rhetoric is a treatment for grammatical decline - an applied study)).

In this study, we attempt to deepen our consideration of the problem of the apparent decline in acceptance of grammatical rules, and the weak interaction with them by the Arab recipient, and we will adopt it in finding appropriate solutions. To stop this radically accelerating decline away from solutions that do not leave research and books, and cannot withstand the enormous challenges at the economic, social, cultural, and even political levels, the research plan will be divided into two sections:

-*The first section: examining the reasons for the decline from the point of view of:

-the teacher.

-The learner.

Affiliation of Author
Faculty of Basic Education, University of Kufa, Iraq, Najaf Al-Ashraf,

[1] hadis.hannoon@uokufa.edu.iq

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: June 2024

-*The second section: Researching solutions in the long term: This section will be responsible for analyzing the results of the questionnaire in the first section and proposing scientific solutions in the short and long dimensions.
-The short one.
-the long.
The research will depend on practical application more than theory through data and polls at the private level (student + professor) and public level (everyone who speaks Arabic), in addition to previous studies on this subject. The researcher will invest in ancient Arabic sayings that recommended the importance of eloquence in reception and creativity, but they suffer. Since interest has diminished, Arabic rhetoric has begun to suffer and struggle for survival, existing in a narrow breathing passage that Al-Sakaki placed hundreds of years ago when he divided it into the statement, the novel, and the meanings, despite the spaces of linguistic knowledge that were opened to it by the Swiss scholar Saussure. Then we will conclude our study. This is a set of results and recommendations.
We hope that God Almighty will guide us to what is best and righteous for this language, which has the honor of carrying the greatest human message. He is the Granter of grace and success.

Keywords: Rhetoric, Arabic, treatment, backing down, Grammar

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إلهٌ عزَّ مَن اعتز به فلا يضام، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، وتمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد....

ستتبنى هذه الدراسة ما جاء في محور الدراسات الإنسانيَّة ، وتتضمن مقترحا للتراجع اللغوي في الدرس العربي ، وهي بمثابة إختراع وضع فيه مجموعة من الحلول التطبيقيَّة لتطوير قابليات المتلقي للغة عن طريق البلاغة فكان عنوان الدراسة: ((**البَلاغَة العربيَّة علاجٌ للتراجع اللغوي ـ دراسة تطبيقيَّة**)).

نحاول في هذه الدّراسَة تعميق النَّظر في مشكلة التَّراجع الواضح في تقبُل القواعد النحويَّة ، وضعف التَّفاعل معها من قبل المتلقي العربي ، وسنتبنى فيها إيجاد الحلُول المناسبة ؛ لوقف هذا التَّراجع المتسارع بشكلٍ جذري بعيدًا عن الحلول التي لا تغادر البحُوث ، والكتب ، ولا يمكنها الصمُود أمام التَّحديات الهائلة على المستويات الاقتصاديَّة ، والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة وحتى السياسيَّة ، خطة البحث ستتوزع على مبحثين:

*ـ **المبحث الأَول :** البحث في أَسباب التراجع من وجهة نظر :

- المُعلِم .
- المُتعلِّم .

*ـ **المبحث الثَّاني :** البحث في الحلُول على المدى : سيتكلف هذا المبحث في تحليل مخرجات الاستبانة في المبحث الأول واقتراح الحلول العلمية في البعدين القصير والطويل .

- القصير .
- الطَّويل .

سيعتمد البحث على التَّطبيق العملي أكثر من التَّنظير عن طريق البيانات والاستفتاءات على المستوى الخاص (الطالب + الأُستاذ) والعام (جميع من يتكلم العربيَّة) فضلا عن الدراسَات السابقة في هذا الموضوع ، وسيستثمر الباحث المقولات العربيَّة القديمَة التي أَوصت بأهميَّة البلاغة في التَّلقي والإبداع إلا أنَّها تعاني من قلت الإهتمام حتى أمست البلاغّة العربيَّة تعاني وتصارع من أجل البقاء ، والوجود في ممر تنفس ضيق وضعه السكَّاكي قبل مئات السنين عندما قسَّمها إلى البيان ، والبديع ، والمعاني على الرغم من فضاءات المعرفَة اللسانيَّة التي فُتحت لها على يد العالم السويسري سوسير ، من ثم سنختم دراستنا هذه بمجموعة النتائج والتوصيات .

نتمنى من الله سُبحانه وتعالى أن يوفقنَا لما هو خَير وصَلاح لهذه اللغة التي تشرَّفت بحمل أَعظم رسالة إنسانيَّة إنه وليّ النَّعمة والتَّوفيق .

المبحث الأَول

البحث في أَسباب التراجع من وجهة نظر المُعلِم والمُتعلِّم

قبل الخوض في الأَسباب لابد من نظرة عامَّة إلى البلاغة العربيَّة في العصر الحديث وكيف تغيَّرت تلك النَّظرة عن جذورها الأُولى

فمن يُعمق النَّظر في تاريخ نشأتها يجد أنها الرّابط لجميع علوم العربيَّة التي ظهرت وثبُتت فيما بعد والدّليل على ذلك مباحثها وإشاراتها الواضحة في كتب النَّحو والصَّرف وعلوم القرآن وعلم النفس والعروض فعدَّها حازم القرطاجني (ت684ه) العلم الكلي حين قال : ((فإن هذه الصناعة لا يليق بها أن تخرج إلى محض صناعات اللسان لجزئية ، وأن تستقصي فيها تفاصيل تلك الصناعات . وإنما نتكلم من ذلك في ما له علاقة بصناعة البلاغة أو في ما عسى المتكلم في هذه أن يستطرد إليه من ذلك . وأكثر ما يتكلم البليغ أيضا من ذلك كلية يمكن أن تستنبط منها أشياء في صناعات اللسان الجزئية))[1].

هذه المقولة لم يتوقف عندها كثير من الباحثين ومروا بها مرورا سريعا ومن دون تعميق النظر في مدلولاتها المعرفية إلا دراسة واحدة بحسب علمي حملت عنوان : (حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي لدكتور عمر إدريس عبد المطلب فوقف عند مقولة البلاغة هي العلم الكلي الذي يهيمن على غيره من بقية علوم اللسان ، وأكد أن الألفاظ والمعاني والبحور والقوافي والنحو والمتون اللغوية وكل ما هو مؤلف للكلام الشعري أو متصل به ،فهو لابد أن يخضع للدرس البلاغي من وجهة نظر حازم[2].

ولن نبالغ إن قلنا البلاغة كانت حاضرة في علوم اللغة العربية كافة ولكنها لم تزل تعاني من التصدّع وتضيق حدودها في الأدب في بلد واللغة في بلد آخر ويجب أن لا تنصرف لغير ذلك من وجهة نظرهم على الرغم من الاشارات الواضحة في تراثها المعرفي فتعرضت لمحاولات العزل عن بقية العلوم إلا أنها بقيت صامدة أمام تحديات الانفصال قديما وحديثا وإن لم تجد من ينصفها في الجامعات العربية إلا النزر القليل ممن فهمها وساوقها مع الدرس العربي الحديث ومتطلبات الحداثة ، وهذا الأمر لم يكن إلا على يد مجموعة من الدارسين في الجامعات الغربية خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين ومارسوا أفكارهم الجديدة في دول الخليج العربي وأسسوا لها بعيدا عن الضغوط التي كانت ولا تزال إلى يومنا هذا .

وهذا التحدي بقي ويبقى يعاني منه الدارس العربي الذي رُسِّخ في ذهنه حراسة اللغة العربية من اللحن وعليه بعلم النحو والصرف على حساب العلوم الآخر فكيف ((يقتنع جيل آمن بأن رسالته الحضارية تتمثل في حراسة لغة الضاد وحراسة علومها على الشكل الذي جاء به التراث بأن اللسانيات المعاصرة هي زاد انساني مطلق وأنها فائض خير على اللغة العربية ، ثم كيف يثبت جيل اللسانيين العرب بأن اللسانيات أداة ناجعة لإعاة استكشاف مخزون التراث العربي في مختلف جداوله من علوم اللغة إلى علم الكلام ومن علوم التفسير إلى علوم الحكمة ، وكيف يثبتون أن اللسانيات آلية إجرائية تعين على تطوير وسائل تعليم وتساهم في إعادة وصف اللغة بكيفيات أيسر مما ورثناه))[3].

ويبدو أن سبب ضعف جدوى هذه الدراسات في بعض الجامعات لا يقف على قلَّة الاهتمام بخفايا وأصول البلاغة العربية بمفهومها العام وما تمتلكه من امتداد عميق الجذور إلى علوم اللغة وحسب بل كثير من الباحثين المحدثين لم يعد منتجا فأخذ ينتظر المصطلحات الجاهزة من الغرب أو ما يجود عليهم بعض الباحثين المنتجين ليضمنوها بحوثهم الخجولة ولم يعد يهتم بتراثه اللغوي الذي ترك اشارات ومفاتيح لكثير من العلوم اللغوية الحديثة أو قُل أن كثيرا منهم يغض الطرف عن تلك الأهمية لتعارضها مع تخصصه الذي يعتاش عليه فهي بضاعته المحصنة التي قد تموت في التفريط بها أو مغادرتها بل وصل الأمر إلى أنه لا يغير مفرداته ولا يطورها بل تبقى كما هي على مر السنين من دون تحديث أو تجديد[4].

وعليه لابد من مشروع يسمح ((بنقل الرصيد البلاغي من وضعية البنية التاريخية الجامدة المرتبطة بعصرها إلى حلقة من دينامية الأسئلة الإنسانية التي يتصل أوُلها بآخرها تجاورا وتعارضا وتقابلا : حيث نجد البلاغة في تجاذب مع الشعر والنحو والمنطق: انزيا ح مستمر، و نزوع إلى الإنبناء ككيان قائم الذات)[5].ولا يريد الباحث الإطالة في هذا الموضوع فله بحث بهذا حمل عنوان : (البَلاغَة العربيَّة وصراع الوجود في الدَّرس اللساني الحّديث)[6]. ما يهمنا ضرورة إعادة النظر في البلاغة العربية كمفتاح لحل كثير من المشاكل التي ولدتها شبه العزلة ، فمن يعود لمناهج تدريس البلاغة العربية في أقسام اللغة العربية في دراسة البكلوريوس وحتى العليا يجدها وحدتين فقط على خلاف النحو والصرف لثلاث وحدات .

أما في المراحل الأولى من الدراسة الثانويَّة فلا تكاد تذكر فتجاهل كثير منهم أنها العلم الكلّي الذي لابد أن يوظف بفاعليَّة في دراسة اللغة العربيَّة منذ المراحل الأولى من حياة المتلقي من خلال تفعل قضية اختيار النصوص البلاغية التي تتناغم مع رؤية المؤسسة التعلمية لكل دولة على أقل تقدير.

على وفق هذه الرؤية حاول الباحث تفعيل الجانب التطبيقي في قضية تشخيص مشكلة البحث ؛ لتباين وجهات النظر من شخص لآخر في عملية رصد أي قضية من قضايا اللغة والأدب بل أنها تتباين من فئة إلى فئة ؛ لذلك حاولنا في دراستنا اختيار عينتين لهما العلاقة الكبيرة في عملية الرصد فلا يمكن أن نستدل بواحدة من دون أخرى ألا إنهما المعلم والمتعلم .

وضعنا لرصد أسباب التراجع والمقبولية استبانة بحثية تتضمن خمسة محاور تسهل على الفئة المستهدفة الرصد والتحليل وعلى النحو الآتي :

*- القواعد النحوية وصرامتها .

*- مناهج تدريس القواعد النحوية .

*- ضعف معلمي النحو العربي .

*- ضعف إدارة المؤسسات التعليمية العربية.

*- جميع ما تقدم .

قمنا بعرض هذه المحاور على أكثر من مائة وخمسين (150) عينة في مجال الدرس العربي ومن جامعات عربية مختلفة تضمنت بلدان (العراق- مصر – الجزائر – عمان)

بعد الاستبانة حصل المحور الخامس المتضمن (جميع ما تقدم) على أعلى نسبة من قبل المشتركين وحصل المحور الرابع (ضعف إدارة المؤسسات التعليمية العربية) على النسبة الأعلى الثانية من بعد المحور الخامس ، بينما المحور الثالث المتضمن مقترح (ضعف معلمي النحو العربي) فحصل على أقل نسبة في الاستبانة .

ويبدو أن نسب نتائج هذه المحاور (الخامس – الرابع – الثالث) كافية لدراسة ماجستير أو دكتوراه في ثلاث فصول بدل من كثير من المشاريع الجامعية التي لا تضيف ولا تحل مشكلة من مشكلات الدرس اللغوي العربي أما المحور الأول المتضمن القواعد النحوية وصرامتها وهو مشكلة بحثنا حصل على نسبة أكثر من 15% وهذا الرصد والتشخيص يجذر وجود مشكلة رصدها أهل اللغة (المعلم والمتعلم) كما موضح في الشكل (1).

الشكل (1) سباب تراجع مقبولية اللغة العربية عن الناطقين بها

أثبتت نسبة المحور الأول القواعد النحوية وصرامتها أن هناك عقدة واضحة في مقبولية اللغة العربية وتقبلها وهي نسبة لا يستهان بها وعلينا وضع الحلول المناسبة لها وهذا ما سيتكفل فيه هذا البحث .

لم يكن حاجة للإطالة في هذا المبحث من الدراسة ؛ لأنها قائمة على جمع البيان فقط أما مرتكزاتها وتحليلها وحلولها سيبدأ في المبحث الثاني الذي سيتضمن عرض الحل المقترح للمشكلة المتمثل باختيار النصوص البليغة في مستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية وتوسيع الدراسة في ذلك التعقيد وعدم المقبولية في بحثنا (البّلاغَة العربيَّة مفتاح التَّيسير النَّحوي) وهذا الحل سيركز على الجانب النحوي من دون غيره ويجب أن يكون على المستويين الطويل والقصير وهذا ما سنتحدث فيه في المبحث الثاني.

المبحث الثَّاني : المقترحات والحلُول

نهاية المبحث الأول وضع الباحث البلاغة مفتاحا للتيسير النحوي في مستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية حلا لهذا التعقيد وعدم المقبولية فعندما نقرِّر بأن اللغة العربية هي لغة فكر لا لغة تعبير فقط فينبغي إطلاق العنان للمتكلم المتسلح بسلامة النطق فطريا لأن يقول ما يقوله على وفق النظرية القصدية لا على أساس القاعدة النحوية فقط .

والخروج عن القواعد في الدرس النحوي كثيرة انتشرت في البحوث والكتب وأخذ يقلد بعضها بعضا وهذا الأمر لوحده يمكن أن يكون مبررا وسببا لخروج المتكلم عن تلك القواعد التي لا تستطع التوافق مع قصديته فهو ليس بالأمر الجديد أمر مرتبط بما يعرف اليوم بالقصدية التي تقع ضمن المعايير النصية السبعة التي حددها دي بوجراند ودريسلر 1981م المشهورة.

و تمثلات ذلك واضحة في الدرس العربي فاتفق أغلب النحاة على عدم جواز وقوع المبتدأ جملة فعلية[7]. وهذا الأمر أصبح من الأمور الراسخة والثابتة لدينا في الدرس اللغوي الحديث ونعلمه للأجيال المتعاقبة فنقول ببساطة أن الجملة الفعلية هي الجملة التي تبدأ بالفعل والجملة الاسمية هي التي تبدأ بالاسم إلا أن من يفتش في النصوص العربية القديمة لا يجد أمر ثبات القاعدة النحوية واستقرارها بهذا الشكل الذي نعتقده ؛ لذلك سوَّغوا هذا الخرق للقاعدة بوضع مجموعة من البدائل والتأويلات؛ لتستقيم قاعدتهم النحوية على حساب قصدية المتكلم والمعنى التي حلَّتها نظرية التواصل.

ويَعد القرآن الكريم النص الذي تكسَّرت على يده جميع القواعد ؛ لذلك ابتعدوا عن الاستشهاد به واعتمدوا على كلام العرب بشكل كبير فجاء قوله تعالى : ((وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))[8] فوجدوا أن هناك خرقا واضحا لقاعدتهم النحوية التي ترى أن المبتدأ لا يكون إلا اسما فوضعوا مجموعة من التأويلات والبدائل لتستقيم القاعدة النحوية .

وهذه الظاهرة التأويلية غالبا ما تظهر عند من اهتم بتفسير النص القرآني ومنهم الفرَّاء (ت207ه) الذي حاول أن يجد مخرجا لذلك فأوَّل بحذف المبتدأ وتقدير محذوف خصَّه بمفردة (آية) والمعنى : (ومن آياته آية يريكم البرق)[9] وتبعه في ذلك التأويل كثير من النحويين والمفسرين [10]. بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك في تقدير هم مصدر مؤول من (أن) والفعل محذوفة وقدَّروه : (ومن آياته أن يريكم البرق) وانفرد الزمخشري(467ه) بعدّه الفعل (يريكم) واقع موقع المفرد في المعنى[11] .

ويبدو أن هذا الرأي حدّته الذائقة البلاغيَّة التي ينماز بها الزَّمخشري فعُرِف عنه الجهد البلاغي في التفسير القرآني وهي، (إشارة إلى وقوع الجملة موقع المبتدأ وإن لم يُصرَّح بذلك ؛ لذلك وجدنا أن ابن هشام (ت 761ه) ذكره من ضمن الجمل التي لها محل من الإعراب ؛ ذلك أن الجملة يكون لها موضع من الإعراب إذا قامت مقام مفرد)[12]. ومنهم من رأى أن جملة (من آياته) في محل نصب حال بتقدير : (يريكم البرق كائنا من آياته) وغير ذلك من تأويلات النحويين والمفسرين[13].

يتضح مما تقدم أن النحاة والمفسرين أجهدوا أنفسهم لإيجاد حل لاستقامة القاعدة النحوية التي وضعوها ، ولو نظروا إلى قصدية المتكلم وأحقية السياق أو ما يعرف اليوم بالنظرية القصدية[14] التي تدخل ضمن كشف مقاصد المتكلمين ما احتاجوا هذا الجهد الكبير لنفي مجيء المبتدأ جملة وفي النص القرآني خير دليل فهو مرتبط بمقاصد المتكلمين ولا يتيسر فهم النص من دون العودة إلى جميع عناصر النص من نحو وصرف وبلاغة وتفسير فنجد في مجريات النَّص القرآني خروجا واضحا عن القاعدة النحويَّة التي وضعها النحاة وعلينا أن نتفق أن القرآن الكريم نزل قبل وضع القواعد النحوية فهو نص سابق للقواعد النحوية إلا أنه وضع بلغة العرب وأساليبهم في التعبير عن المعاني ؛ لذلك تأثروا وآمنوا به .

وكذلك لابد من القول لمن تشدد للقواعد أن علماء العربية قد وضعوا تلك القواعد ولم يكن هدفُهم بيانَ الصَّحيح والخطأ للعربي نفسه ؛ لأن ((كلام العرب الأوائل في عصر الاحتجاج كلُّه صحيحٌ، فهم أهلُ اللغة، بل كان هدفُهم وصفَ ذلك الكلام وتصنيفَه اعتماداً على ذوقهم الذي صُقِل والبحثَ عن معاني الكلامِ ومقاصدِ المتكلمين وأحوالهم النفسية المرتبطة بسياقاتٍ ومقاماتٍ، والكشفَ عن ضوابط السليقة السليمة عند العرب؛ لينتحي غيرهم أو من جاء بعدهم على سمْت كلامهم وفطرتهم))[15].

والتعويل على القصدية عند بعض النحاة المتشددين للقواعد ذنب لا يغتفر ؛ لأنهم اعتادوا النظر إلى القاعدة النحوية مجردة من المقاصد ، ففي حديث مع بعض الأساتذة قال لي بأن علوم البلاغة ما هي إلا افتراءات وتكهنات وضعها أهل الأدب ولا يوجد شيء اسمه مجاز واستعارة وكناية .

مثل هذه الآراء من الصعب التراجع عن موقفها المقلد ورؤيتها الجامدة للنصوص الإبداعية خاصة والنصوص الإنجازية عامة وستبقى العربية تعاني من هذا التعصب المعطل لحركة النصوص على وفق مباديء انجازية ولكنا يمكننا الإصرار على حركة التغيير والتأثير على هذه الآراء لتطويرها إن وفرنا شرط سلامة النطق التي لن تكون من دون تخطيط وعمل دؤوب على مستوى المعلم والمتعلم و المؤسسات التربوية ذات العلاقة .

وهذا التجديد لن يكون أمرا يسيرا فنحتاج إلى تقويم اللسان وضبط حركة النصوص لا بالجبر والتكلف بل بالطبع والسليقة وهذا لن يكون إلا بالدربة والممارسة منذ الصغر ؛ لذلك يقترح الباحث العودة إلى الأساس فنبدأ من المراحل الدراسية الأولى ؛ لأن الفكرة أو المعنى وما يعبِّر عنه متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فلا ألفاظ لغوية بلا معنى، ولا معنى بلا ألفاظ تحمله، فهما إذاً وجهان لعملة واحدة، ومن البديهي أنَّ دراسة أحدهما لا تكتمل إن لم تمرّ بالآخر وهذا ما كان فعلاً عندما درسَ النُّحاةُ كلامَ العربِ فعلينا تعزيز وتعميق الفطرة والسليقة بزراعتها منذ الطفولة الأولى تنمو وتزدهر فتنطق الحروف وتتضح المقاصد من دون عناء تعليم القواعد فيما بعد .

ويبدو من خلال نتائج الاستبانة أن من أهم أسباب تراجع مقبولية القاعدة النحوية والتفاعل معها كما كانت سابقا عكوف النحاة على دراستها ضمن التركيب من دون بيان جماليات المعنى وربطها بالمقام الذي وردت فيه وهذا الأمر لم يكن وليد سنة أوسنتين بل عقود من الزمن حورب فيها من عارض تلك السياسة فهناك محاولات عدَّة . أهمها محاولة ابن مضاء القرطبي[16]والدكتور ابراهيم مصطفى [17]. والدكتور شوقي ضيف [18]. والدكتور مهدي المخزومي[19]. إلا أنَّ تلك المحاولات لم تغير شيئا كبيرا في الدارس والمنهج والقواعد وبقيت الأمور على وضعها حتى طغت سياسة الحرس اللغوي وقل ولا تقل على المناهج التعليمية في جميع الدول العربية وبدأ التراجع شيئا فشيئا وسوف يستمر إن لم نغير تلك السياسة في المناهج ونغير أفكار معلميها الذين فقدوا تذوق النصوص المتناغمة مع حركاتها الإعرابية وفي مبانيها .

وممـا تقـدم أقتـرح أن تـدرس النصـوص البلاغيـة القديمـة الواضـحة بمسـتوياتها الدينيـة (القـرآن الكـريم والأحاديـث النبويـة الشـريفة) وغيـر الدينيـة (الشـعر العربـي ونثـره) للتلاميذ في الصفوف الأولى وللحفظ فقط ونشرح لهم معانيها ونكرس الجهد في طريقة التلفظ الصحيح للمفردات الواردة مع معانيها ويتصاعد تدريس تلك النصوص مع التلميذ شيئا فشيئا في المراحل التي تلي الابتدائية والمتوسطة في درس اللغة العربية حتى أن نصل إلى الإعدادية أو الكلية وكما في الشكل (2).

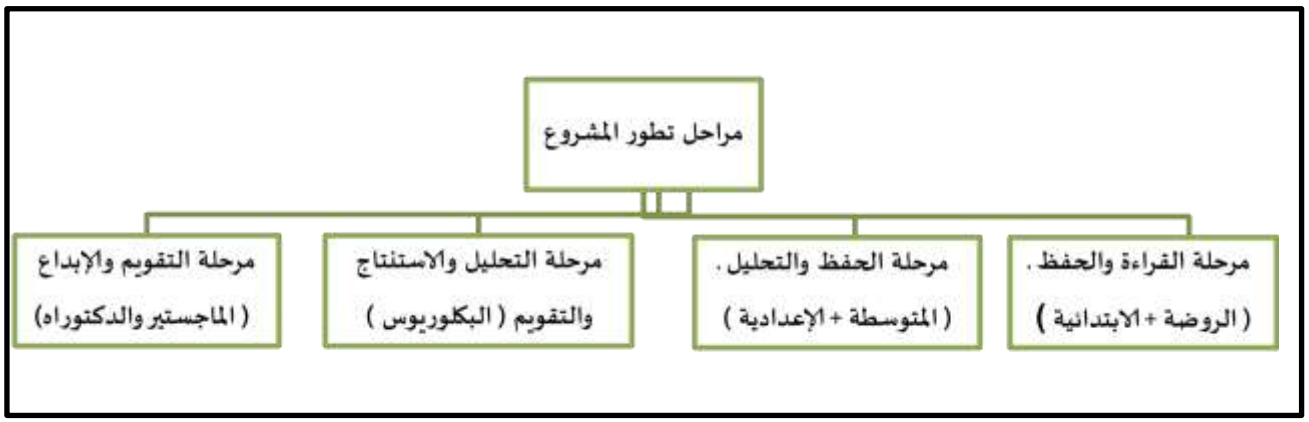

الشكل (2): مراحل تطور المشروع

على أن يكون اختيار النصوص البلاغية لكل مرحلة مناسبة للمتلقي فتنماز بسماتها الإيقاعية النغمية في مرحلة القراءة والحفظ والفنية المؤثرة في مرحلة التحليل والتقويم ، وفي التطبيق الدقيق على وفق هذه المحاور سنحصل على جيل ينطق المفردات من دون الحاجة إلى القاعدة النحوية وإن حاجته لها سيكون تحصيل حاصل في ربط القاعدة بالمعنى الذي يعرفه الطالب ومن ثم في الدراسات العليا سيأتي لنا الطالب بشيء جديد لا أن نبقى نُصوِّب له نطق الكلمة وقد يسأل سائل وما علاقة ذلك بالبلاغة ؟ نقول : يجب أن يكون اختيار هذه النصوص مبنيا على أساس بلاغة النصوص بمعنى أن تكون تلك النصوص تنماز بجمال التكرار الصوتي والسجع والفواصل القرآنية وخالية من التعقيد اللفظي ولها سمات الطباق أو المقابلة ؛ لتسهيل عملية حفظ تلك النصوص من قبل التلاميذ ، وهذا ما يحقق سهولة اللفظ والحفظ وهذا ما سيتبين لنا في الحلول الطويلة والقصيرة .

أولا : الحلول في المدى الطَّويل :

إن كنّا نريد خلق الوعي في الأصوات والكلمات والتراكيب وننطقها بشكل سليم يجب تفعيل عملية حفظ النصوص البلاغية المختارة منذ الصغر فلا جدوى من دراسة النحو أو الصرف بل وحتى البلاغة من دون الاستشهاد بآية قرآنية أو حديث نبوي شريف أو بيت شعري يزخر بالفنون البلاغية المؤثرة في نفس المتلقي فهي من ستخلق استجابة مؤثرة فتستحل مكانة واعية في نفسه فيستذكرها ويتفاعل معها وينطقها وينقلها إلى الآخر ،

وهناك وقائع وأمثلة يمكن رصدها من خلال مسيرتنا الدراسية فقد حفظنا الإستعارة المكنية في الدرس البلاغي وبقيت متعمقة في أذهاننا من خلال الآية القرآنية المباركة : (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)[20]. على الرغم من وجود نصوص قرآنية كثيرة فيها الفن الكنائي فلا داعٍ للاستشهاد بالنصوص المعقدة الخالية من الجزالة والتكثيف والسلاسة في اللسان واستبدالها بالنصوص البلاغية المؤثرة وعلى وفق المراحل التي مرَّ ذكرها .

ففي مرحلة القراءة والحفظ التي يجب أن تبدأ في الروضة والإبتدائية نختار نصوص سهلة النطق والحفظ يرددها المعلم بشكلها الصحيح فيعقبه الطفل ويرددها حتى تصبح أنشودة لا تفارق لسانه الذي سيستقيم من الاعوجاج فيتقوم ويقوى على نطق الكلمات من دون لحن بكثرة ما يحفظ التلميذ ومن ثم الطالب ، وأكبر دليل على ذلك أن النظام التعليمي القديم في الكتاتيب هو أنفع مما عليه في مراحله الأولى.

على هذا الأساس يجب أن يكون اختيار تلك النصوص بدقة وتمعن لكل مرحلة ومن دون عشوائية فيكون الخيار لمرحلة القراءة والحفظ للنصوص تتسم بالسمات البيانية الآتية :

*- الألفاظ سهلة النطق والحفظ بعيدة التعقيد .

التراث النثري العربي لم يصلنا كما وصل الشعر ليس لأن العرب أمة شعرية كما نسمع ونقرأ في بعض الآراء بل أن السمات الموجودة في الشعر من وزن وقافية وموسيقى بشكل عام هي من ساعدت على حفظه ((من دون إرهاق للذاكرة . وعلل مؤرخو الأدب العربي كثرة ما روى لنا من أشعار القدماء إذا قيس بما روى من نثرهم بأن حفظ الشعر وتذكره أيسر وأهون . ولعل السر في هذا هو ما في الشعر من انسجام المقاطع وتواليها))[21].

فالنفس الإنسانية بطبيعتها تأنس بالكلام الواضح ((الفهم منظوماً مصفى من كدر العي، مقوماً من أود الخطأ واللحن سالماً من جور التأليف، موزوناً بميزان الصواب لفظاً ومعنى وتركيباً، اتسعت طرقهُ، ولطفت موالجهُ، فقبله الفهم، وارتاح له، وأنس به))[22]. فنبَّه البلاغيون العرب قديما وحديثا بخطورة التعقيد اللفظي في جذب انتباه المتلقي .

الوضوح وعدم التعقيد سمة أكَّد عليها القرآن الكريم في مخاطبة الآخرين فقال تعالى : (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي)[23]. وبأي حال من الأحوال الدراسة تقترح و تؤكد جانب الوضوح في المرحلة الأولى : لأنها ستحقق التفاعل بين النص والمتلقي فيستعذبه ويستهويه لينقله إلى عالمه من دون تكلف ولا تعقيد فيتأثر ويؤثر وهو هدف الدراسة ولا نريد الوقوف طولا أمام هذه الخيارات لأنها واضحة الأهداف وسنتوقف عندها قليلا لننتقل إلى المحور الآخر من الدراسة.

*- الموسيقى والنغم الصوتي المؤثر في أذن المتلقي.

النفس الإنسانية بطبيعتها تتآلف وتتفاعل مع النصوص التي تنماز بإيقاعها ونغمها الصوتي ،وإذ ما أراد المنشيء للغته الفنية التأثير في تلك النفس فلا بد من توفير جرس منظم عن طريق التوظيف الصوتي لأن ((الأصوات محلها من الأسماع محل النواظر من الأبصار))[24] فثمة علاقة مشتركة تربط ما بين الألفاظ والموسيقى وإلى ذلك أشار ابن جني (ت392هـ) بقوله: ((علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم))[25]. وإنما يقصد المبدع إلى إقامة بناء نتاجه على نظام موسيقي متوازن على وفق إيقاعات نغمية منظمة ؛ لتكون دلالات النص أدخل في نفس المتلقي وأبعد غوراً فيه ؛ لأن ((الموسيقى تنتج تأثيراً في العقل مشابهاً لتأثير الدواء الجيد في الجسم))[26]. وبذلك تكون الموسيقى وسيلة من وسائل التعبير الفني التي تشترك في رسم صورة ما في الذهن عن طريق الإيقاع المنظم للألفاظ القائم على الاتزان والتناغم في العلاقات الصوتية والموسيقية الحاصلة بين الأصوات والكلمات والعبارات في النص الفني[27] .

يدخل العنصر الإيقاعي في حلقة التنافس مع عناصر بناء الصورة بعدِّه واحدا من أهم تلك العناصر، لأن تفاعل المتلقي مع المكوِّن الإيقاعي في الصور الفنية يتعدى السمع إلى تخييل أشكال بصرية وعناصر حسية مختلفة[28] وهذا ما أكدت أهميته الدراسات القديمة والحديثة في تدعيم المعنى وأثارته في نفس المتلقي عن طريق الإيقاع المنضبط للألفاظ في الشعر والنثر على حدٍ سواء[29] .

هذه السمة الصوتية في النصوص المختارة للمراحل الأولية تمنح المتلقي مقبولية وتفاعل فطري يندفع من خلاله نحو النصوص ويتأثر بها فيحفظها ويرددها فيتقوم اللسان ويظهر البيان فيما بعد عندما يشكل الألفاظ في رسم الصور البيانية وهذا ما يجب التركيز فيه في النقطة التي تليها .

*- وضوح المعنى وتأثيره في نفس المتلقي .

ينسج النص الفني بانتقاء كلمات مناسبة للمقام فهو يدرك أن ((الكلمات أرواح تختزن في داخلها مشاعر وأحاسيس، وهي بفاعليتها مع غيرها داخل سياق لغوي قادر على منح بعضها البعض دلالات وفاعليات خاصة))[30] ومن هنا تحتاج عملية الانتقاء إلى قدرات واعية وتعامل موحي وعلى وفق ذلك يسعى المتكلم في كلامه إلى استقطاب أذهان المخاطبين فيحاول الارتقاء باللغة من عموميتها إلى صوت شخصي بخروجه عن المعنى المعجمي، فينظمها على وفق رؤيتهِ وموهبتهِ في أغنى الأشكال تأثيراً مستثمراً طاقاتها من دلالة وصوت، وعلاقات بناء، وإيقاع على نحو فريد[31].

وهذه الخطوة تشكل عند المخاطب أمرا مهما في عملية التلقي المنتج فالأمر يشابه ((تلك الأجزاء المفككة التي يطالب الأطفال في لعبهم بتركيبها بحيث تأخذ شكلا منتظما لشيء ما ، فلا يلبث الطفل بعد مران قليل أن يكوِّن من تلك الأجزاء أشياء منسجمة ،

متذكرا في سهولة ويسر ما يتركب منه كل شيء من هذه الأشياء)) [32] وهذا ما تتطلبه مرحلتنا الأولى من التلقي والحق أن عملية تأثير المعنى في نفس المتلقي واضح ولا يحتاج إلى كثير من الشواهد البحثية ولكنا نريد التركيز على أثره في عملية الاختيار منذ الطفولة فهو يخلق فهما مستقبليا لدى المتعلم العربي على المدى البعيد فيورثه رصيدا معرفيا بالمعاني لا يستهان بها يمكنه أن يوظفها فيما بعد.

ثانيا : الحلول في المدى القصير:

من الضروري أن لا تقف تلك الحلول عند المراحل الأولى في الدراسة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية بل تستمر ويبدأ جني الثمار في الدراسة الجامعية التي يجب أن لا تكون بهذا الشكل والتعقيد الذي نراه اليوم في المناهج التدريسية التي تدرس قواعد النحو والصرف والعروض بل عميقة تتكلف بوضع المشاريع الجديدة التي تنهض باللغة العربية وتبحث في عوامل نتشارها بشكل أكثر وهذا يتطلب التركيز على جميع مستوياتها المعرفية من أصوات وتراكيب ودلالات لا أن نعلم الطالب كيفية النطق السليم للأصوات أو التشكيل الصوري للحروف أو معاني الكلمات ودلالاتها في المعجم هذه الأمور من المفترض أن يكون مفروغا منها كما خططنا في المراحل الأولية وهنا يجب أن نركز في الدراسة الجامعية على :

*- المستويات الصوتية على وفق النظريات الحديثة.

*- النظريات الحديثة في البناء التركيبي للجمل .

*- علم الدلالة وعلاقته بالنظريات اللسانية الجديدة .

وهنا لابد من القول أن رفع مقبولية اللغة العربية والتفاعل مع القواعد في الحلول القصيرة عليها أن تنطلق مع الحلول طويلة الأمد ولا نفصل بينهما على أن يتم ذلك على وفق استراتيجية خاصة ذات أهداف موحدة فلا نترك المراحل المتقدمة المتمثلة في دراسات البكلوريوس والعليا في الجامعات من دون معالجة بل علينا وضع خطة قصيرة الأمد تنتهي بوصول الجيل المخطط له على المدى الطويل (الابتدائية والمتوسطة وحتى الإعدادية) لهذه المرحلة . ماذا سنفعل في الجيل الذي غاب عن خططنا طويلة الأمد منذ المراحل الأولى ؟؟؟

يبدو لي أن التركيز على القواعد النحوية والصرفية للجيل الحالي سيزيد الطين بلة ويعقد الأمور أكثر ويزيد من عزوف الطلبة لهذا المجال ولن يأتي لدراسة اللغة العربية إلا مضطرا أو محبا والمحبة أمر نادر لا يتكرر كثيرا ؛ لهذا علينا أن نوجه أذهان وعقول الطلبة لما يقلل من المسافة ويعزز المحبة ولا يعقد الأمور وهذا ما يتمثل في الأمور الآتية :

*- الابتعاد عن التعقيد اللغوي وتعميق الدراسات الجمالية ذات التأثير في نفوس وأذهان المتلقين

*- توجيه أذهان الطلبة إلى نقاط الضعف والقوة في نشر اللغة العربية وتعزيز مقبوليتها عند الآخر .

*- عرض النظريات اللغوية الحديثة وعلاقتها بالدرس اللغوي وأثر ذلك كله في إظهار قيمة هذه اللغة من بين لغات العالم.

ولعل سائلا يخطر بباله أننا سنترك بقية العلوم ونركز على اللغة العربية في الخطة طويلة الأمد فجوابنا بالتأكيد لا ، فبقية العلوم تسير على وفق ما موجود في المناهج المُعدّة لها ولكنا نغير في خطط تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية في هذه المدارس فنختار النصوص الدينية والأدبية التي تتماز بسهولتها وحاجة المجتمع لمضامينها فالحاجة تولد الرغبة في التعلم والسهولة تزيد من الدافعية فالإنسان بطبيعتها لا ينجذب للألفاظ الصعبة وهذا يولد قلة التفاعل وحتى إن أرغمنا المتعلم عليها فسيكون حفظها عملية وقتية تزول بزوال المؤثر .

والأمر المهم في اختيار تلك النصوص بلاغتها فبها تعزز علاقة المتكلم والمتلقي بلغته ولعل ما صرَّح به حازم خير دليل على بيان تلك العلاقة بقوله : ((فإن هذه الصناعة لا يليق بها أن تخرج إلى محض صناعات اللسان لجزئية ، وأن تستقصي فيها تفاصيل تلك الصناعات . وإنما نتكلم من ذلك في ما له علاقة بصناعة البلاغة أو في ما عسى المتكلم في هذه أن يستطرد إليه من ذلك . وأكثر ما يتكلم البليغ أيضا من ذلك كله يمكن أن تستنبط منها أشياء في صناعات اللسان الجزئية))[33]، فالبلاغة هي العلم الكلي الذي تقصده كل العلوم الأخرى ؛ فعندها مقومات الكشف عن المنفعة النهائية للنصوص وهي القيمة التي يتوخاها المتكلم ويسعى إلى كشفها المتلقي ، فلا يمكن أن يستغني عنها الدرس الصوتي أو الصرفي أو النحوي فهذه العلوم كلها تعمل مشتركة حتى تحقق هدف البلاغة فهي تتجاوز بحدود مرحلة الخطأ والصواب في العلوم اللغوية المرتبطة بمجموعة من القواعد المعيارية فلا تهتم بالقواعد كثيرا وإنما تبحث عن مقاصد المتكلمين في الاستعمال الخاص للغة والتحول بالنصوص من الابلاغ إلى التأثير ، وعلى هذا الأساس يميز حازم بين البلاغة بوصفها علمًا لسانيًا كليًا، وبقية العلوم.

ومن يعمق النظر في مناهج تعليم اللغة العربية على أصولها الحقيقية في الدراستين الأولية والعليا يجدها قاصرة لا تلبي طموح وحاجات المتعلمين ، ومن أجل إثبات هذه الحقيقة علينا أن نسوق بعض الدلائل على ذلك ظهرت من استبيان عُرض على المتعلمين في الدراسة الأولية والعليا تبين فيه أن هناك كرها واضحا للنحو

والصرف وهي من أصعب المواد التي يدرسها المتعلم ؛ لأنها لم توضع في قالب جديد يستوعب حاجة المتلقي وهذا التشخيص لا يمكن عدّه تشخيصا جديدا إذا ما عدنا إلى محاولات التجديد التي طرحها الطهطاوي (1873م) في (التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية) وإبراهيم مصطفى (1962م) في (إحياء النحو) ومحاولات كثيرة تعطي انطباعا واضحا بأن اللغة العربية تعاني ولابد من عودة قوية .

ونرى ضرورة فتح قيود البلاغة واطلاق عنانها على العلوم الأخرى وعدم تقييدها بأنها درس جمالي ينتمي في حدوده المرسومة ضمن المعارف الأدبية وهذا هو الحل لعودة سطوة اللغة العربية ؛ لذلك فهي درس لساني ذو طبيعة شاملة له القدرة على كشف الجوانب الجمالية والبراغماتية والتواصلية فلا نمنعه من ممارسة المناهج المناسبة للكشف عن الحقائق النفسية والاجتماعية والسياسية والصرفية والنحوية فيجب أن توقف الجامعات حد البلاغة وتعطيها الشمولية الكافية لدراسة النصوص بشتى اشكالها وخلاف ذلك سيبقى الدرس اللغوي العربي يعاني من الجمود وقلة التفاعل وضعف التلقي من المتعلم .

ولعلَّ ما سمعته من بعض الطلبة في إحدى المؤتمرات خير دليل أسوقه في هذا الموضع في أثناء القاء ملخص لبحثي وكان الحضور من أساتذة الجامعات وطلبة الدراسات العليا ومرَّرت بفقرة أثر الصوت في بناء علاقة بين الصوت والمعنى ونحن في القرن الحادي والعشرين ؟؟؟

فمما لاشك فيه أن هذا الأمر سيخلق ضعفا واضحا في فهم النصوص بل وحتى التفاعل معها ؛ لأننا نرى أن النص لا قيمة له صرفيا أو نحويا من دون تدبر وظيفته المعرفية وخلقه للمعنى فالنصوص قد يخرق فيها المتكلم قواعد النحو والصرف لدواعي دلالية لا ينبغي تخطئته فيها ؛ فهو ينسج الالفاظ لإيصال المعنى وليس لإثبات القاعدة النحوية أو الصرفية وخير دليل على ذلك أن العرب لم يضعوا لنا نحوا قرآنيا أو صرفا قرآنيا ؛ لأن النص القرآني يخرق القواعد ويهدف إلى إيصال المعنى إلى المتلقي.

ويبدو لنا أن بعض الاساتذة في الجامعات العراقية وغير العراقية لا يدركون قيمة الدراسات اللسانية حتى وإن تخصصوا بها ، وهذا التشخيص أثبته محمود سعران بقوله : ((هذه الدراسة في البلاد العربية لا تزال غريبة على جمهور المتخصصين في المسائل اللغوية ، المنقطعين لها ، والمنصرفين إليها))[34] ، وللأسف لازال هذا القصور في الفهم وآثاره السلبية على الأجيال القابلة ، فمن يتجول في الرسائل والدراسات الجامعية على سبيل المثال يجد أن بعضهم يبعد الأسلوبية والتداولية من المناهج جذريا متناسيا دورها في الكشف عن خبايا النصوص وعلاقتها بالبلاغة التي لا تعود إلى أصل واحد عند سوسير صاحب الثورة التزامنية الرائدة[35].

نستنتج في نهاية هذا المبحث الخاص بالحلول قصيرة الأمد ضرورة تفعيل الجانب البلاغي في دراسة نصوص اللغة العربية وإظهار الجوانب القيمية والجمالية في تلك النصوص فتكرار القواعد النحوية والصرفية بهذا الضعف عند المتلقي وهذه المناهج ومستويات المعلمين لن يقدم للعربية إلا فرار أفواج من ناطقيها لأنهم لم يتشربوا بها منذ الصغر بآليات مخطط لها ومدروس نتائجها وهذا ما تطرقنا له في المبحث الأول في الحلول طويلة الأمد . ومن الله التوفيق .

الاستنتاجات

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث :

*- ضرورة إعادة دراسة البلاغة العربية من منطق التفاعل بينها وبين الحداثة من أجل فهمها ومعرفة أبعاد النظرية الأدبية وتقصي الجوانب الجمالية والفكرية ورصد مظاهر المعاصرة التي يمكن استحضارها اليوم للمساهمة بها في تغذية النقاش القائم في القضايا المعاصرة .

*- أقترح أن تدرس النصوص البلاغية القديمة الواضحة بمستوياتها الدينية (القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة) وغير الدينية (الشعر العربي ونثره) للتلاميذ في الصفوف الأولى وللحفظ فقط ونشرح لهم معانيها ونكرس الجهد في طريقة التلفظ الصحيح للمفردات الواردة مع معانيها ويتصاعد تدريس تلك النصوص مع التلميذ شيئا فشيئا في المراحل التي تلي الابتدائية والمتوسطة في درس اللغة العربية حتى أن نصل إلى الإعدادية أو الكلية وكما في المخطط المبسط الآتي:

*- مرحلة القراءة والحفظ (الروضة + الابتدائية)

*- مرحلة الحفظ والتحليل (المتوسطة + الإعدادية)

*- مرحلة التحليل والاستنتاج والتقويم (البكلوريوس)

*- مرحلة التقويم والإبداع (الماجستير والدكتوراه)

وعلى أن يكون اختيار النصوص البلاغية لكل مرحلة مناسبة للمتلقي فتنماز بسماتها الإيقاعية النغمية في مرحلة القراءة والحفظ والفنية المؤثرة في مرحلة التحليل والتقويم ، وفي التطبيق الدقيق على وفق هذه المحاور سنحصل على جيل ينطق المفردات من دون الحاجة إلى القاعدة النحوية وإن حاجته لها سيكون تحصيل حاصل في ربط القاعدة بالمعنى الذي يعرفه الطالب ومن ثم في الدراسات العليا سيأتي لنا الطالب بشيء جديد لا أن نبقى نصوب له كيفية نطق الكلمة

وقد يسأل سائل وما علاقة ذلك بالبلاغة ؟ نقول : يجب أن يكون اختيار هذه النصوص مبني على أساس بلاغة النصوص بمعنى أن تكون تلك النصوص تتماز بجمال التكرار الصوتي والسجع والفواصل القرآنية وخالية من التعقيد اللفظي ولها سمات الطباق أو المقابلة ؛ لتسهيل عملية حفظ تلك النصوص من قبل التلاميذ ، وهذا ما يحقق سهولة اللفظ والحفظ وهذا ما سيتبين لنا في الحلول الطويلة والقصيرة .

*- هذا التجديد لن يكون أمرا يسيرا فنحتاج إلى تقويم اللسان وضبط حركة النصوص لا بالجبر والتكلف بل بالطبع والسليقة وهذا لن يكون إلا بالدربة والممارسة منذ الصغر ؛ لذلك يقترح الباحث العودة إلى الأساس فنبدأ من المراحل الدراسية الأولى ؛ لأن الفكرة أو المعنى وما يعبِّر عنه متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فلا ألفاظ لغوية بلا معنى، ولا معنى بلا ألفاظ تحمله، فهما إذاً وجهان لعملة واحدة، ومن البديهي أنَّ دراسة أحدهما لا تكتمل إن لم تمرّ بالآخر وهذا ما كان فعلاً عندما درسَ النُّحاةُ كلامَ العربِ فعلينا تعزيز وتعميق الفطرة والسليقة بزراعتها منذ الطفولة الأولى تنمو وتزدهر فتنطق الحروف وتتضح المقاصد من دون عناء تعليم القواعد فيما بعد .

*- نسب نتائج هذه المحاور (الخامس – الرابع – الثالث) كافية لدراسة ماجستير أو دكتوراه في ثلاث فصول بدل من كثير من المشاريع الجامعية التي لا تضيف ولا تحل مشكلة من مشكلات الدرس اللغوي العربي .

الهوامش

(1)- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق د. محمد حبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، ط1 ، 1966م : 244.

(2)- ينظر : حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي ، د. عمر إدريس عبد المطلب ،الجنادرية ، الأردن- عمان ، 2009م: 92.

(3)- التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د. عبد السلام المسدي ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ليبيا ، ط3، 2009م: 13.

(4)- ينظر: الموجز في تاريخ البلاغة ، د. مازم المبارك ، دار الفكر المعاصر ، 2014م هذا الكتاب على سبيل المثال كيف قسم البلاغة العربية وتحدث عنها وكأنها صنف أدبي خالص يخلو من أي تطور أو تجديد والكتاب مؤلف في عام 2014م .

(5)- البلاغة العربية الأصول والامتدادات ، محمد العمري ، ط1، 1998م: 9.

(6)- بحث شاركنا فيه الملتقى العلمي الدولي الأول المحكم اللغة العربية والتّعليم - واقع وطموحات – قسم اللغة العربية ، كلية الآداب واللغات ، جامعة 8 ماي 1945قالمة ، الجزائر.

(7)- ينظر : الأصول في النحو ، ابن السراج : 1/ 62-63، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام: 1 / 91 – 92، شرح الأشموني : 1 / 177 ، شرح التصريح، خالد الزهري : 1 / 18 ، وحاشية الصبان: 1 / 301 – 302 .

(8)- الروم : 24.

(9)- ينظر : ينظر: معاني القرآن، الفرَّاء : 2 / 32.

(10)- ينظر : جامع البيان عن تفسير آي القرآن، الطبري: مج 11 : 21 / 24 ، و معاني القرآن وإعراب ه ، الزجاج: 4 / 138 ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب. مراجعة المصادر) العزيز ،ابن عطية: 4 / 334 ، والبيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الأنباري: 2 / 250 ، والتبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري: 2 / 259

(11)- ينظر : الكشاف: 3 / 506 .

(12)- ينظر : الخلاف النحوي في بنية النص القرآني في ضوء الدراسات القرآنية ، اطروحة دكتوراه شيماء محمد رشيد ،كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ، العراق ،2012م : 26.

(13)-ينظر : المصدر نفسه : في هذه الرسالة إذ ذكر الباحث كتب النحو والتفسير التي تحدثت عن ذلك المعنى ومنها : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، سمين الحلبي: 9 / 38 ، وإعراب القرآن، زكريا الأنصاري : 338 ، والتحرير والتنوير، ابن عاشور: مج 8 : 21 / 79.

(14)- وهي من المعايير النصية التي حددها دي بوجراند 1981م للحكم على كفاءة النص التواصلية .

(15)- القَاعِدَةُ النَّحْوِيَّةُ في ضَوْءِ عِلْمِ المَعَانِي ، د. محمَّد خالد الرَّهاوي ، المملكة العربية السعودية – الرياض ، ط1 ، 2018م : 8.

(16)- كتاب الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي ، تح. د. شوقي ضيف ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 1947م.

(17)- إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2014م .

(18)- تجديد النحو ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط6 ، 2013م ، تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1993م.

(19)- في النحو العربي نقدٌ وتوجيه، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1986م .

(20)- سورة مريم : 4.

(21)- موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، البيان العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط2 ، 1952م : 10.

(22)- عيار الشعر: إبن طباطبا العلوي، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2005م: 20 .

(23)- طه : 25- 28.

(24)- الوساطة بين المتنبي وخصومه: 412 .

(25)- سر صناعة الاعراب: ابن جني . تح: مصطفى السقاف، دار احياء التراث القديم، شركة ومطبعة مصطفى البابي واولاده، مصر، ط1، 1954م: 1 /10 .

(26)- الموسيقى وعلم النفس: ضياء الدين أبو الحب، مطبعة التضامن، بغداد، ط1، 1970م: 18 .

(27)- ينظر: فلسفة الأدب والفنون: د. كمال عيد، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1978م: 55.

(28) - ينظر: الصورة الفنية في شعر ابي تمام: 223 .

(29)- ينظر: مفتاح العلوم: 423، تحرير التحبير: ابن ابي الأصبع المصري، تحقيق حنفي محمد شرف، مصر، 1383هـ: 2 / 102، ومن الدراسات الحديثة: دراسات بلاغية ونقدية: 107، فنون بلاغية: احمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1975م: 210، علم البديع: بسيوني عبد الفتاح: 133 .

(30)-قضايا النقد الأدبي والبلاغة: محمد زكي العشماوي، دار الكاتب العربي، مطبعة الوادي، 1967م: 241.

(31)- ينظر: لغة الشعر الحديث في العراق: د. عدنان حسين العوادي، دار الحرية، بغداد، 1985م: 9 .

(32)- موسيقى الشعر : 11.

(33)- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : 244.

(34)- علم اللغة المقدمة للقاريء العربي، محمد سعران ، دار الفكر العربي ، الإسكندرية ، 1962م : 21.

(35)- ينظر على سبيل المثال كتاب المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات : د. صالح هويدي ، دار نينوى للنشر ،ط1 ، 2015م .

المصادر

- القرآن الكريم
- ابن جني، سر صناعة الاعراب، تح: مصطفى السقاف، مصر، دار احياء التراث القديم، شركة ومطبعة مصطفى البابي واولاده، ط1، 1954م.
- أبو الحب ضياء الدين، الموسيقى وعلم النفس، مطبعة التضامن، بغداد، ط1، 1970م.
- أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952م
- الرَّهاوي محمد خالد، القَاعِدَةُ النَّحْوِيَّةُ في ضَوْءِ عِلْمِ المَعَانِي، المملكة العربية السعودية -الرياض، ط1، 2018م
- الرشيد شيماء محمد، الخلاف النحوي في بنية النص القرآني في ضوء الدراسات القرآنية، اطروحة دكتوراه العراق، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ،2012م
- السعران محمد، علم اللغة المقدمة للقاريء العربي، الإسكندرية دار الفكر العربي، 1962م.
- الضيف شوقي، تجديد النحو، دار المعارف، القاهرة، ط6، 2013م
- الضيف شوقي، تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، القاهرة، دار المعارف، ط2 ، 1993م.
- عبد المطلب عمر إدريس، حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي، الجنادرية، الأردن- عمان، 2009م.
- العشماوي محمد زكي، قضايا النقد الأدبي والبلاغة، دار الكاتب العربي، مطبعة الوادي، 1967م.
- العلوي إبن طباطبا، عيار الشعر، تح: عباس عبد الستار، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 2005م.
- العمري محمد، البلاغة العربية الأصول والامتدادات، ط1، 1998م.
- العوادي عدنان حسين، لغة الشعر الحديث في العراق، بغداد، دار الحرية،1985م.
- القرطاجني حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح د. محمد حبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، ط1، 1966م
- القرطبي إبن مضاء، كتاب الرد على النحاة، تح. د. شوقي ضيف، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1947م.
- كمال عيد، فلسفة الأدب والفنون، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1978م.

- المخزومي مهدي، في النحو العربي نقدٌ وتوجيه، بيروت - لبنان، دار الرائد العربي، ط2 ، 1986م .
- مصطفى إبراهيم، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014م
- المصري ابن ابي الأصبع، تحرير التحبير، تح. حنفي محمد شرف، مصر، 1383هـ.
- المطلوب أحمد، فنون بلاغية، الكويت، دار البحوث العلمية، ط1، 1975م.
- المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ليبيا دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط3، 2009م.
- الهويدي صالح، المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، دار نينوى للنشر، ط1، 2015م.